

الحلقة الثالثة والسبعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

كيف تُكرم شخصاً تحبه مستمعي؟ قد تدعوه للعشاء في بيتك، أو تقيم له سهرة عامرة في مطعم. أو قد تأخذه معك في رحلة إلى مكان جميل أخاذ. لكن في حالة كان هذا الشخص رجلاً ذا قيمة كبيرة، أو زعيماً مشهوراً، فكيف تعبر له عن حبك؟ هناك بالطبع عدة وسائل للتعبير عن محبتنا لشخص معين. لكن لا بد أنك ستستغرب مستمعي هذه القصة الواقعية التي حدثت مع المخلص المسيح، وكيف عبرت إحداهن عن محبتها الشديدة له وإكرامها الفائق، وبطريقة لم يكن أحد يتوقعها.

دَوَّنَ لَنَا الْبَشِيرُ مَتَّى هَذِهِ الْحَادِثَةَ: «وَفِيمَا كَانَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ عَنِيَا فِي بَيْتِ سَمْعَانَ الْأَبْرَصِيِّ، تَقَدَّمتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ مَعَهَا قَارُورَةٌ طِيبٍ كَثِيرٍ الثَّمَنِ، فَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ مُتَّكِيٌّ. فَلَمَّا رَأَى تَلَامِيذُهُ ذَلِكَ اغْتَاظُوا قَائِلِينَ: «لِمَاذَا هَذَا الْإِتْلَافُ؟ لِأَنَّهُ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يُبَاعَ هَذَا الطِّيبُ بِكَثِيرٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ». فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تَزْعَجُونَ الْمَرْأَةَ؟ فَإِنَّهَا قَدْ عَمَلَتْ بِي عَمَلًا حَسَنًا! لِأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. فَإِنَّهَا إِذْ سَكَبَتْ هَذَا الطِّيبَ عَلَى جَسَدِي إِنَّمَا فَعَلَتْ ذَلِكَ لِأَجْلِ تَكْفِينِي. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يَكْرَزُ بِهَذَا الْإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرُ أَيْضًا بِمَا فَعَلْتَهُ هَذِهِ تَذْكَارًا لَهَا» (بشارة متى ٢٦: ٦-١٣).

كانت قرية بيت عنيا قريبة من مدينة اورشليم، التي كان المسيح قاصداً التوجه إليها مع تلاميذه. وكان المسيح يعلم أن هذه هي المرة الأخيرة التي سيذهب فيها إلى اورشليم قبل القبض عليه ومحاكمته وتسليمه للموت. سنتأمل الآن بهذه القصة الفريدة من نوعها.

مستمعي الكريم، يُخبرنا البشير يوحنا أن المسيح عندما أتى إلى بيت عنيا، صنعوا له هناك عشاء. وذكر أن لعازر الذي أقامه المسيح من القبر كان موجوداً، وأن مرثا أخته كانت تخدم. وأن مريم أختها هي التي أتت وسكبت قارورة الطيب على المسيح. ومن المعروف أن المسيح كان صديقاً لهذه العائلة.

لقد تقدّمت مريم ومعها قارورة طيب كثير الثمن، وسكبته على رأس المسيح وهو جالس، فامتأ البيت بعبق رائحة الطيب. أظهر سكب الطيب وعبر عن مدى حب مريم وتبجيلها لابل عبادتها للمخلص المسيح. حقاً يا لها من وسيلة رائعة عبّرت فيها مريم عن حبّها وإكرامها للمخلص المسيح. لكن ما فعلته مريم لم يُعجب تلاميذ المسيح، وخاصة كما ذكر البشير يوحنا يهوذا الإسخريوطي الذي أسلم المسيح فيما بعد. وأخذوا يتساءلون فيما بينهم: «لِمَادَا هَذَا الْإِتْلَافُ؟» أي الإسراف؟ وأضافوا قائلين: «لَأَنَّهُ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يُبَاعَ هَذَا الطَّيْبُ بِكَثِيرٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ».

لقد قدّر ثمن هذا الطيب بأكثر من ثلثمائة دينار كما دون البشيران مرقس ويوحنا، وهو مبلغ باهظ جداً في تلك الأيام. وفعلاً إذا بيع هذا الطيب ووزّع ريعه على الفقراء، لكان ساهم في سد احتياجات الكثيرين. لكن يهوذا لم يكن يبالي بالفقراء، بل لأنه كان سارقاً وكان الصندوق عنده، وكان يحمل ما يُلقى فيه.

ولقد لاحظ المسيح تذمّر تلاميذه فقال لهم: «لِمَادَا تَزْعَجُونَ الْمَرْأَةَ؟ فَإِنَّهَا قَدْ عَمِلَتْ بِي عَمَلًا حَسَنًا! لِأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ». لم يكن قصد المسيح أن يتجاهل حاجات الفقراء، مع العلم أن الكتاب المقدس مليء بالآيات التي تحثنا على مساعدة الفقراء والمحتاجين، وتحقيق العدل. لكن المسيح أراد أن يؤكد على أهمية التضحية التي أقدمت عليها مريم، ولهذا امتدحها واصفاً عملها بالحسن أي الجميل. أجل إن الفقراء سيقفون معنا في الأرض كل حين، ولن نستطيع حل مشكلتهم نهائياً. بينما المخلص المسيح قد أتى إلى أرضنا في فترة زمنية معينة، ولهذا وجب استغلال هذه الفرصة وإكرامه.

صديقي المستمع، تابع المخلص المسيح حديثه مع تلاميذه قائلاً عن مريم: «فَإِنَّهَا إِذْ سَكَبَتْ هَذَا الطَّيْبَ عَلَى جَسَدِي إِنَّمَا فَعَلَتْ ذَلِكَ لِأَجْلِ تَكْفِينِي». وهنا كشف المسيح نبوءة هامة عن موته القريب على الصليب ودفنه ثم قيامته. ولقد كانت عادة تلك الأيام تكفين جسد الميت ودهنه بالحنوط. إن مريم بسكبها الطيب على رأس المسيح تكون كمن تكفن جسده وتدهنه قبل ذهابه إلى الصليب بأيام معدودة فقط، ثم موته الكفاري ودفنه وقيامته المجيدة. لكن لا مريم ولا التلاميذ فهموا معنى كلام المسيح عن التكفين. إذ كان هذا الأمر مجهولاً بالنسبة لهم، رغم أن المسيح أخبرهم عنه مرات عديدة.

ثم أضاف المسيح قائلاً: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزُ بِهَذَا الْإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرُ أَيْضًا بِمَا فَعَلْتُمْ هَذِهِ تَذْكَارًا لَهَا». وهذه نبوءة أخرى كشف فيها المسيح، أن ما فعلته مريم من سكب الطيب على رأسه، سيدون في بشارة الإنجيل كتذكارة لها، هذه البشارة

التي سيُكرز بها في كل أنحاء العالم. وهو ما تحقق بالفعل، إذ دَوّن ثلاثة من البشيرين متى ومقرس ويوحنا هذه الحادثة، وانتشر خبر ما عملته مريم في كل العالم. لقد قامت مريم بأعظم عمل عندما سكبت الطيب على رأس المسيح، وهو الذي يستحق كل محبة وإكرام وسجود وعبادة. فهو كلمة الله الأزلي المتجسد الذي مات على الصليب لفداء البشر جميعاً.

هل تعلم مستمعي أنه بإمكانك اليوم أنت أيضاً أن تُكرم المخلص المسيح وتعلن حبك له؟ قد تسأل وكيف؟ وللجواب نقول: تستطيع إكرامه أولاً بالتوبة عن ذنوبك والإيمان به وبموته الكفاري على الصليب. وثانياً باتباعه بأن تصبح تلميذاً له تشهد عن نعمته الغنية وخلصه الكامل للآخرين من حولك. وعندما تؤمن مستمعي بالمخلص المسيح وتصبح تلميذاً له، تستطيع أن تحبه من كل القلب، وأن تعبده بالحق. إذ يصبح هو مخلصك الوحيد الذي غفر ذنوبك، وجعلك خليفة جديدة، وضمن لك الدخول إلى الحياة الأبدية. فهل تراك تقدم على خطوة الإيمان هذه؟